محاضرات في الأدب المقارن

موجهة لطلبة السنة الثانية تخصص دراسات أدبية/ دراسات نقدية

السنة الجامعية: 2022-2023

(د. زينب قوني)

المحاضرة رقم 01: الأدب المقارن ـ المفهوم والنشأة ـ

يبحث الأدب المقارن في انتقال الأنواع الأدبية من أمة إلى أمة، وفي الأخذ والعطاء بين الشعوب على مختلف مراحل نموها.

وقد كان الأدب المقارن يعني في البداية دراسة الأدب الشفهي، وخاصة تلك القصص الشعبية ويتتبع هجرتها عبر العالم، ويقف على الكيفية التي دخل بها حقل الأدب المكتوب الذي يعتبر أرقى منها.

ـ المصطلح:

أول استعمال لمصطلح " الأدب المقارن " كان بفرنسا عام 1827 على يد " فيلمان"، ثم أصبح عنوانا لدارسة جامعية، ثم لشهادة ليسانس تابعة لها.

وقد اختلفت التسميات ومن أشهرها "الآداب الحديثة المقارَنة"، "تاريخ الآداب المقارَنة" "التاريخ المقارِن للآداب"، وهي مقترحات لمفكرين رفضوا مصطلح "الأدب المقارن"؛ ولكن هذا المصطلح صار من القوة و الثبات مما تعذر معه استبداله، ولعل ذلك يعود إلى سببين :

1 - أن الباحثين درجوا عليه وتمكن منهم ـ

2 - أنه الأقرب إلى الإيجاز والسهولة.

ومن الاختلافات في التسمية؛ ما كان من جدل حول استعمال مصطلح "الأدب المقارِن" بكسر الراء، أو "الأدب المقارَن" بفتحها؛ ليتم ترجيح التسمية الثانية؛ على اعتبار أن الأدب هو ما يقوم عليه الفعل (الأدب مفعول به وليس فاعلا).

دوافع نشأته : ولعل ما لاحظه الباحثون من نقاط تلاقٍ بين الآداب في لغاتهم المختلفة هو الذي جعلهم يميلون في كثير من الأحيان إلى الحث عن تلك الصلات التاريخية التي كانت بين آدابهم القومية في الماضي و الحاضر وبين الآداب العالمية الأخرى

في مجال الأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية وكذالك الموضوعات والصيغ الفنية والأفكار.

وأبرز مثال على ذلك ما كانت تقوم به "دي ستايل" في دراستها النقدية حيث كانت تضرب الأمثال بالآداب الأخرى، وكثيرا ما بحثت في أوجه الشبه بين الأدبين الفرنسي والألماني من خلال كتابها " من ألمانيا ".

ويرجع كثيرون الفضل في ظهور الأدب المقارن إلى تطور مناهج البحث العلمي في ق 19، حيث كثر اللجوء إلى المقارنات لاستنباط الحقائق، وقد تفطن عدد من الباحثين إلى أن أي أدب قومي لا يمكن أن يفهم حق الفهم بمعزل عن الآداب الأخرى، وتبينوا أن الآداب القومية ليست جزراً معزولة، وحاجز اللغة لا يمنع باحثا من التحدث عن أدب عام تتشابه فيه الأفكار والاتجاهات والأصول الفنية.

وفي ما يتعلق بعلاقة الأدب الشفهي بالمكتوب، انتهى الباحث "غاستن باري" إلى أن الأدب ينشأ فطرياً قوميا، ولكنه يتعقد وينمو بما يرد إليه من موارد خارجة عنه فيكملها ويكمل بها، أي أن مختلف الموضوعات في مختلف الآداب يمكن إرجاعها إلى عناصر بسيطة توارثتها جيل بعد جيل ـ

مفهوم الأدب المقارن لدى بعض المفكرين:

وتنوعت بناء عل ما سبق تعاريف الأدب المقارن؛ فبعضها اشتق من أهدافه، وبعضها من وظائفه وبعضها من النشأة التاريخية.

1- بول فان تيغم: حدد مفهومه في ضوء وظيفته العامة فيقول بأنه :

"دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقتها بعضها ببعض وما تدين به الآداب بعضها لبعض".

2- ماريوس فرنسوا جويار: يرى أن الأدب المقارن هو "تاريخ العلاقات الأدبية العالمية"؛ فالبحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية والقومية ، ويراقب مبادلات الموضوعات والفكر والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة آداب ".

3- أوين ألدريج : يتسع مفهوم الأدب المقارن لديه؛ فهو << ليس المقارنة بين الآداب القومية فحسب؛ بل إنه السبيل لتوسيع المدارك وآفاق الإنسان في كيفية التعامل مع الإنتاج الأدبي لأمة من الأمم، وكيفية النظر إلى ذاك الأدب خارج نطاق حدود الأدب القومي بقصد التطلع والتعرف على الآراء والأفكار والمذاهب والاتجاهات والأجناس المختلفة في آداب الأمم الأخرى >>.

4- غان برانت كوريستيوس" يعرفه من الزاوية الوظيفية ويرى أن الأدب المقارن يقوم أساسا على الاشتقاق المعرفي المشترك بين البشر؛ فهو علاقة الماضي

بالحاضر بين آداب (الشعوب) شعوب العالم التي تشترك وتساهم في إثراء المادة الأدبية.

- المحاولات الأولى:

رغم أن الميلاد الرسمي للأدب المقارن بهذا المصطلح كان خلال القرن 19؛ إلا أن الأمم شهدت جذوراً للمقارنة نذكر ما كان بالموازنة والمفاضلة التي نشأت عند الرومانيين حيث قارنوا بين ما كتابهم وكتاب الإغريق ، كما بين البابليون ميز بين ما هو بابلي و ماهو سوماري ، تماماً كما ميز الآشوريون بين جديدهم والموروث، وفي الدراسات العربية القديمة لاحظ الكتاب والنقاد أثر الفكر الفلسفي والحكمي لدى الشعراء مما أخذوه من المفكرين السابقين لهم :

كما أجرى ابن سنان وابن الأثير مقارنات حول الحرف العربي أو الأسلوب العربي ومقارنته باللغات الأخرى ـ

وقد اهتم نقاد فرنسيون بذكر ما أخذه كتابهم من الأدب الإغريقي والكلاسيكي.

وفي ق 18 اتسع مجال التأثير و التأثر بين الأقطار الأوروبية خاصة في إيطاليا، واسبانيا، وانجلترا، وكثرت الترجمات وإن كان الاهتمام بتاريخ الأدب كان المسيطر فحجب ظهور الأدب المقارن ـ

لتزداد العناية بالآداب الأجنبية ، وظهرت الآداب الشعبية لتدعو إلى المقارنة بين القصص والأساطير، إلى جانب الميل إلى البحث عن الصفات المشتركة بين الآداب، وهو ما أكده الإخوان شليجيل حوالي العام 1800 وبعدهم الإخوان كرمـ

فالمحاولات الأولى كانت للألمان مثل: شليجيل، (إيكهورن و بوترويك) من خلال إبراز التأثيرات الأساسيةـ

وأما في فرنسا فكان لكتاب " دي ستايل " (من ألمانيا) و لفولتير في كتابه (رسائل فلسفية) الذي عرف أدب الانجليز أثر في نشأة هذا العلم.

ــ في سنة 1825 نشط التاريخ الأدبي؛ فجاءت محاضرات فيلمن 1827 و دراسة التأثير الذي أحدثه كتاب القرن 18 الفرنسيون في الآداب الأجنبية أول محاضرات الأدب المقارن.

المحاضرة رقم 02 : تطور الأدب المقارن

1- الإسهامات الأولى:

- في فرنسا : بعد النشأة الرسمية على يد " فليمن" 1827 جاء جان جاك أمبير ليلقي محاضرات الأدب المقارن سنة 1839.

- في بريطانيا : بين سنتي (1837 – 1839) ظهر أول كتاب في الأدب المقارن، وأول من استخدم مصطلح "الأدب المقارن" في بريطانيا "ماثيو آرنولد" سنة 1848م.

- في ألمانيا : في سنة 1887 م دخل الأدب المقارن للجامعة على يد "ماكس كوخ".

- في أمريكا : أول من أدخل الدراسات المقارنة إلى الجامعات الأمريكية "القس شاكفور"؛ فكان إنشاء أول كرسي للأدب المقارن في الموسم الجامعي 1890-1891.

2 – التطور:

إسهامات كبيرة شهدها ميدان "الأدب المقارن" دفعت بالدراسة إلى الأمام ويمكن الوقوف عند أعمال مثمرة ثلاثة، يتعلق الأمر ب :

- تيكست والدافع الجديد .

- بتز والفهرسة .

- جهود لابنسون و بالدنسبرجر.

أ- تيكست والدافع الجديد : عُدَّ تيكست أبا للأدب المقارن الحديث؛ فقد كان أول مختص فيه على المستوى الأوروبي يدفعه إليه ما يأمله من مستقبل طموح في الأدب المقارن، وما يعتقده من استمرار التبادلات بين الأمم والشعوب، وانتقال التيارات الأدبية والفكرية بينها رغم الحواجز بأنواعها المختلفة.

ناقش "جوزيف تيكيس" رسالته "جان جاك روسو" ومصادر عالمية الأدب سنة 1895، كما كان أول من تولى منبر جامعة (ليون) في الأدب المقارن سنة 1896، ورسالته التي ناقشها كانت خطوة مهمة مثمرة تلتها مقالات كثيرة جمعت في عنوان " دراسات في الأدب الأوروبي" سنة 1898.

ب - بتز والفهرسة :

هو لويس پول " السويسري ناقش رسالته كان بتز "يعتقد أنه لابد من وضع بيبلوغرافيا شاملة ممنهجة لكل ما يدخل في إطار الأدب المقارن من بحوث ودراسات ومقالات بتخطٍّي كل الحواجز (اللغة والبلد خال ما يدخل في إطار الأدب المقارن من بحوث ودراسات ومقالات تتخطي كل الحواجز (اللغة والبلد خاصة)، وقد تمكن -لإيمانه الراسخ بفكرته واعتقاده أنها سبيل ضرورية لتطوير الأدب المقارن- من أن يضع هذا العمل الضخم سماه "الأدب المقارن محاولة فهرسية"، وقد

اشتملت على ألفي عنوان تزايدت بكثرة في طبعاتها التالية ،وصار عمله عدة لا غنى عنها للدارس المقارن.

ج - جهود لابنسون ، وبالدنسبرجر :

يُعدّ " غوستاف لابنسون " رائد التجديد في تاريخ الأدب الفرنسي الحديث ، وقد أثراه بتأكيده على مسائل مهمة (الشمولية والسعة والدقـــة الغوية وتمحيص المعلومات الترجمية).

وبإشرافه على الكثير من الرسائل الجامعية ، وكذا بمؤلفيه الشهيرين " تاريخ الأدب الفرنسي 1894 " ، " الموجز الفهرسي للأدب الفرنسي الحديث (1500 – 1909) .

أما بالدنسبرجر فله أعمال قيمة ظهرت في مظهرين:

01. مظهر تعليمي : خلف تكيست في منصبه المخصص في الأدب المقارن بجامعة ليون .
02. مظهر تأليفي : نشر فهرسة " بتز " في صورتها الكاملة سنة 1904 ، أما أشهر أعماله "غوتا في فرنسا (1904) "، تتبع فيه المجلات والجرائد الصادرة وجمع انطباعات على إقامة "غوتا " في فرنسا، وتأثيره على الأدباء الفرنسيين ، وفي سنة (1921) أصدر بمساعدة " پول هازار " مجلة الأدب المقارن الفرنسية.

- من أوائل الكتب في "الأدب المقارن "

* 1931م نشر فان تيغم " كتابه : " الأدب المقارن بفرنسا .
* 1951م نشر ماريوس فرانسوا جويار "" كتابه :"الأدب المقارن.
* بين سنتي 1837-1839 : ظهر أول كتاب في الأدب المقارن في بريطانيا .
*1961 في أمريكا ظهرت أول مجموعة من المقالات المختصة في الأدب المقارن ، و جمعت في كتاب واحد بعنوانه " الأدب المقارنة منهجه وآفاقه .

المحاضرة رقم 03: عدة الباحث المقارن وميادين البحث

*** عدة الباحث المقارن:**

- ينبغي أن يكون مؤرخا للآداب، وأن يتجهز بثقافة تاريخية كافية حتى يستطيع أن يرتب الأعمال الأدبية موضوع الدراسة المقارنة في سياقها التاريخي والحضاري.

- أن يكون استعلامه وافيا عن الآداب في عدة بلدان وتاريخها؛ لكي يكون مؤرخا للعلاقات الأدبية الدولية.

- يجب أن يتقن عدة لغات.

- أن يقيم بيانا بمصادر الموضوع ومراجعه مستفيدا من الكتب البيبليوغرافية لمختلف الآداب.

* ميادين الأدب المقارن :

أما ميدان الأدب المقارن؛ فإنه مبني على عناصر الكوزموبوليتية الأدبية أو العالمية الأدبية في الكتب والأدباء في كل عصر والذين يسهمون في تعريف الآداب والبلدان الأجنبية. ونحددها كما يلي:

*الكتب والآثار الأدبية الفنية والأدباء : ومنها يمكن البحث في :

1- الأجناس الأدبية.

2- دراسة الموضوعات الأدبية و الشعبية.

3- حظ الكتاب.

4– دراسة مصادر الكاتب.

5– دراسة التيارات الأدبية والفكرية.

– صورة الأجنبي كما يرى.

محاضرة رقم 04: الأدب المقارن الوظيفة، والحدود

أولا: وظائف الأدب المقارن :

اعتبارا للبعد العالمي للدارسة المقارنة التي تفسح المجال على آداب الإنسانية جمعاء ؛ يحدد المفكرون وظائف عدة للأدب المقارن أهمها أنه :

1- يقدم فهما للأدب أفضل وأكثر شمولا وأقدر على تجاوز جزئية أدبية منفصلة أوعدة جزئيات معزولة .
2- يميز ماهو محلي وما هو إنساني مشترك .
3- يُحدد الصلات والمتشابهات بين الآداب المختلفة وبين الأدب وحقول المعرفة الأخرى .
4- يسهم في تخليص الأقوام من النزعة النرجسية المسيطرة في مجال الآداب القومية المختلفة .
5- يقدم للنقد الأدبي و دارسي الأدب فرصة مميزة لتوسيع آفاق معرفتهم وتوثيق أحكامهم حتى الجمالية منها ، لأن المقارنة تبقى أقوى أسلحة الناقد إقناعاً .

6- يقدم فرصة ممتازة لتطوير نظرية أدبية قائمة على فهم طبيعة امتدادات الأدب خارج حدوده .

ثانيا: حدود الدراسة المقارنة :

مع اختلاف حقول البحث المقارن أو ميادينه من الموضوعات والأجناس الأدبية والأفكار؛ فإنه يعتمد على ثلاثة حدود وهي : المرسل – الآخذ – الوسيط –

أ – المرسل :

وهو الأدب المؤثر وقد يكون كتابا ، أو تياراً ، أو نوعا، أو كاتبا ، أو فكرة مثلا : يعدّ القرآن الكريم مرسلاً؛ فقد كان أحد مصادر دانتي في ملحمته " << الكوميديا الإلهية >>

كما كان في القرن التاسع عشر (مرسلا) إذ أثر في الشاعر الألماني جوتة الذي ذكر ما في القرآن الكريم من جمال .

وشعر الغزل والشعر العذري العربي يمكن أن يعتبر (مرسلا) له أثر في الشعر الأوروبي ، كما قد يعد الشعر الغربي الحديث والمعاصر ألوانا من أشكال التعبير.

وكلما تحدد المرسل في كتاب أو كاتب أو نوع أدبي كان ذلك أدق في الوصول إلى حكم علمي سليم .

وتأثير المرسل قد يكون بالموقف الفكري ، أو الجانب الفني الشكلي وقد يكون تقليد أنموذج .

ب –الآخـــــذ :

وهو الأدب أو الأديب الذي يتأثر بغيره ، على أن يكون هذا التأثير أجنبياً .

فإن كان الأدب اليوناني مرسلاً فالأدب الروماني آخذا ....

فالآخذ هو الملتقي من المرسل ، ويمكن للباحث أن يسأل عن كيفية تلقي الآخذ من المرسل .

مثلا : من أين استمد الكاتب هذا الموضوع ؟ أو هذا الشكل الفني؟ وقد تكون المصادر فردية أو مصادر مجتمعة .

ج – الوسيط :

هي طريقة الانتقال ، هو ما نقل تراث أمة ما إلى أمة أخرى، وأبرزها الترجمة، وقد يكون التجار ، أو الاستعمار.

والوسيط قد يكون مفرداً من أبناء الأمة الأخرى أو المرسلة ، وقد يكون وسطاء البيئة الاجتماعية مثل الصالونات الأدبية أو الجمعيات والمدارس الدينية وقد يكون النقد والصحف المجلات أو الترجمات والمترجمون .

ويمكن دراسة المقارنة عند دراسة المراسل ، الآخذ والوسيط أن يلاحظ ويصف كيفية انتقال المرسل إلى خارج الحدود، ووصف نوعية المرسل من

حيث كونه نوعا أدبيا أو مذهبا أدبيا أو شكلا فنيا .... كما يصف كيفية الانتقال للكشف عن الوسيط .

وليسهل ذلك لابد من الإطلاع على ما نشر في الموضوع للوصول إلى أحكام دقيقة بعيدا عن الاحتمالات ، وهو ما عرضناه في حديثنا عن عدة المقارن.

مدارس الأدب المقارن

المحاضرة رقم 05: المدرسة الفرنسية:

1) مؤهلات فرنسا لاحتضان الدرس المقارن :

كان لتاريخ فرنسا الأثر الكبير في إشعاعها الثقافي والأدبي ، وعرف تاريخها الأدبي أعلاماً بارزين خاصة في ظل حكم آل بوربون ، فقد استقرت الأمور في عهدهم وأصبحت باريس مركزا ثقافيا ممتازا .

ثم جاء القرن السابع عشر وهو العصر الذهبي للأدب الفرنسي، وما إن جاء القرن التاسع عشر حتى تعددت المدارس الأدبية :الرومانسية ، الكلاسيكية والواقعية)

هذا الفضاء الاستراتيجي لفرنسا جعلها لفترة طويلة تتربع مركز الإشعاع ،وتعد بحق ملتقى الاتجاهات و التيارات مما خلق لها مستقبلين وأبعاد كُثر من بقاع عديدة.

وقد أعانها على ذالك توسعها الاستعماري؛ فكانت مهيأة أكثر من غيرها لاستقبال الدرس المقارن في إطار العلاقات التاريخية ، وكان على الدرس المقارن ـ بذلك ـ أن يقوم على دراسة علائق الآداب الغربية بالآداب الأخرى.

2) الأساس التاريخي للمدرسة :

يمكن الوقوف على الأساس التاريخي للمدرسة الفرنسية من خلال تطور الدرس المقارن وأجياله الثلاثة التي مازته ، ويمكن الوقوف بقوة أكثر على ذلك في أعمال بالد نسبرجرو وخاصة عمله البيبلوغرافي الضخم الذي عالج فيه حقل الدراسات المقارنة في فرنسا ... من وجهة نظر تحكمها التاريخية الأوروبية جعلت الوعي بالخارج جزءاً من وعي الذات الوطنية ، وهو يعتبر أن الأدب المقارن قائم على انتشار يتعدى الحدود الوطنية واللسانية ، متبنيا تلك العلاقات التي خلفها التاريخ الأدبي ... ويرى أن " أهمية الأدب المقارن تتمثل في إعادة بناء الماضي و الاخضاع المرن للأحداث المتداخلة ...بتحديد وجودها وأنماط انتقالها " ، (مثلا : الأجناس الأدبية لها قوة المصادقة على شيء و إظهاره).

ويظهر الأساس التاريخي أيضا في عمل فان تيغم الشهير الذي ظل لسنوات طويلة مدخلا لابد منه للدرس المقارن يرى تيغم أن المقارنة تعني التقريب بين وقائع مختلفة ومتباعدة ... الأدب المقارن الحقيقي يحاول ككل علم تاريخي ، أن يشمل أكبر عدد ممكن من الوقائع المختلفة الأصل حتى يزداد فهمها وتعليلها كل واحد على حد".

أما جان ماري كاري فيرى أن " الأدب المقارن فرع من التاريخ الأدبي لأنه دراسة العلائق الروحية الدولية والصلات الواقعية التي توحِّد بين بيرون و بوشكين و غوتا وكارلين ، ووالترسكوت وفيني أي بين الإنتاجات و الإلهامات بل بين حيوات الكتاب المنتمين إلى آداب عدة " ويركز على فكرة لمِّ الشتات .

أما جويار فقد حاول في كتابه عرض المناهج أو كما استدرك " عرض نتائج فن أدبي لازال معروفا على صورة سيئة من جمهور المثقفين ليثبت شرعية الأدب المقارن، وقاده ذلك في سبيل تحديد تعريف موسع للأدب المقارن إلى تعين حدود الأدب المقارن ، إن من الناحية القومية أو من الناحية العالمية ، وقد وصل إلى ما اعتبره صورة أدق لتعريف حين أسماه "تاريخ العلائق الأدبية الدولية".

وأضاف للتعريف " فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية والقومية ، ويراقب تبادل الموضوعات والفكر والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة آداب .

وعليه فقد ساهم في بناء الأساس التاريخي وتكريسه مع سيطرة رحلات الكتاب الأدباء الفرنسيين ككتابات دي ستايل عن ألمانيا و موسييه مع جورج صان عن إيطاليا و شاتوبريان إلى انجلترا ، يضاف إليه أعمال المستشرقين التي تضافرت لتختزل صورة الآخر وتضخيم الأنـــا .

3) التحولات :

لم تنفصل لأعمال التالية للأجيال الثلاث خطّ المدرسة كثيرا فمعظم أبحاث المقارنة (على الرغم من كوزموبوليتها أو عالميتها المعلنة) وضعت لاعتبارات وطنية وقومية ، ولذلك لم تكن تمثل سوى ملحقات تضاف إلى الأدب الوطني ، ولذلك فإن أغلب الدراسات تكاد تكون غير ذات دلالة؛ إذ ظلت منحصرة في إطار الأدب الوطني.

ومع ذلك لا يمكن إغفال الإضافات الإيجابية خاصة مع مراعاة العمل التحليلي الطموح لبول هازار أزمة الضمير الأوروبي.

4) مبادئ المدرسة الفرنسية :

- تجعل من الصلات التاريخية شرطا للقيام بالدراسة المقارنة .

- المقارنة لا تقوم بالمشابهات ، بل تقوم على إثبات علاقة التأثير والتأثر .

- تعتبر أن الأدب القومي محوراً للدراسة المقارنة وعنصراً جوهريا للمقارنة .

5) نقد المدرسة الفرنسية :

عانى المفهوم الفرنسي أوجها من القصور؛ ومن أبرز المآخذ :

- عدم التحديد ونزعته التاريخية، واهتمامه بتفسير الظواهر الأدبية على أساس من حقائق الواقع.

- عدم التناسق بين المنطلق القومي والهدف العالمي؛ فقد احتلت العوامل المؤثرة في الأدب صدر الاهتمام بينما تراجع الاهتمام بالأدب نفسه إلى مرتبة تالية.

المحاضرة رقم 06: المدرسة الأمريكية:

مدرسة النقد الجديد النقد تحول من دراسة العلاقات الخارجية إلى العلاقات الداخلية في النص.

لقد ميز هذا الاتجاه الجديد اتكاؤه على المكونين أساسين أخلاقي وثقافي، يقول كلورد بشوا المبدأ الأخلاقي ويعكس موقف أمة كبيرة منفتحة على العالـــم منشغلة بإعطاء كل ثقافة أجنبية ما تستحقه من رعاية واعتبار ، وتعي في الحين نفسه جذورها الغربية ....

أما المبدأ الثقافي فيسمح للأمريكيين بأخذ بعد من هذه الجغرافيا الواسعة ....

يرى سعيد علوش أن المبدأ الأخلاقي الذي يعطيه كلود بشوا يقوم على اعتبارات تاريخية تحيل على حداثة الحضارة الأمريكية ذات المزيج من الجنسيات والثقافات ، وتستدعي إيجاد انفتاحات لا تتخلص نهائيا من أصولها الغربية في أوروبا فقد أدى هذا الوضع الجديد إلى تحديد هدف المدرسة الأمريكية إذ يكمن في دراسته الظاهرة الأدبية في شموليتها دون مراعاة للحواجز اللسانية و السياسية أي دراسة من وجهة نظر دولية .

على أن المدرسة الجديدة استفادت من إنجازات أوروبا والمدرسة الفرنسية لكنها أبت أن تبقى حبيسة رؤيتها.

يرجع النقاد الصدام الذي وقع بين الاتجاه التاريخي قديماً والاتجاه الجديد في النقد إلى التحول في الأنموذج أوائل القرن العشرين ، وهو تحول في مقارنة النصوص من مقاربات خارجية إلى مقاربات داخلية بدأه الشكلانيون الروس وواصلة النقد الجديد والبنويه ، وقد شكل انعطافا حاداً في تاريخ الفكر النقدي العالمي ، إذ تم نقل مركز الثقل من الخارج إلى الداخل.

هنري ريماك : "مهما تكن الاختلافات حول المظاهر النظرية للأدب المقارن؛ فهناك توافق واتفاق على هدفه من إعطاء دارس الأدب فهماً أكثر عمقا للأدب كوحدة كاملة لا كفرع من شعب منفصلة مختلفة ومعزولة لهذا الأدب.

إن هذا الفهم المعمَّق يستطيع توضيح العلاقة بين عدة آداب ، وكذلك العلاقات بين الأدب وميادين أخرى للمعرفة والإبداع الإنسانيين خصوصا الميدان الفني والإيديولوجي ، هذا يكون البحث الأدبي (الأدب لا يمكن فصله عن الإيديولوجيا والفن لأن كلها مظاهر النشاط الإنساني) .

وقد حقق ريماك قفزة هامة في مجال التنظير للدرس المقارن الأمريكي المتأخر زمنيا والمستفيد من الإنجازات الأوروبية مما دفعـــة إلى التفكير في استقلالية مفاهيمية تأكدت أبعاده المعرفية والنظرية مع أعمال روني ويليك منذ 1946.

عيوب الدرس الأمريكي :

1- تنوع تعاريف المقاربين الأمريكيين ومزاوجتها بين الأدب وتداخل الاختصاصات (تمييع الأدب المقارن ، تفتح على كل النطاقات، اختلاط بين النقد والأدب المقارن) وفي هذا خطر على الأدب المقارن.
2- النظرة الخاصة للأدب الغربي كفضاء متميز في الدراسات المقارنة .
3- لا يخلو من تناقضات واختلافات مشروعة في الآراء ومنها نقد ريماك لمنظور ويليك الذي يرى الأدب المقارن ليس علما مستقلا بذاته، حيث تُعتبر استقلالية الدرس وعدمها موضوعاً لم يحسم بعد .

المحاضرة رقم 07: المدرسة السلافيـــة

ننطلق من إشارة الباحث المفكر المغربي "سعيد علوش " مفادها أن الأصل في الدرس المقارن هو المدرسة الفرنسية التي كان ظهورها انطلاقا مما كان يطلق عليه " تاريخ الأدب " وهذا بحكم العلاقات التي كانت تربطها بالعالم المحيط ولحركة التوسع الإستعماري ، فالعلاقة التاريخية بين فرنسا والدول الأخرى، حتى سنة 1958 حيث انعقد مؤتر الجمعية العالمية للأدب المقارن إذ تدخل " ريني ويليك " الأمريكي التي قدم مداخلة بعنوان "أزمة الأدب المقارن" وانتقد تارخية المدرسة الفرنسية، وإن كانت المدرسة الأمريكية امتدادا للمدرسة الفرنسية إلا أنها تنتمي إلى النظرة الجمالية.

ويشير دائما سعيد علوش " إلى أن المدرسة الفرنسة موجودة في كل اللغات الأوروبية الأخرى؛ إلا أن المدرسة التي تميزت بالفعل هي المدرسة السلافية، وهي مدرسة اشتراكية لأنها حاولت أن تتميز على أساس المنظور الاجتماعي، وهذه المدرسة في الأدب المقارن تنعت بتسميات عدة أبرزها :

01 – السلافية : نسبة للغات السلافونية والشعوب الناطقة بها في بلدان المعسكر الاشتراكي.

02-الاشتراكية : نسبة إلى النظام السياسي و الاقتصادي الذي ساد في مجتمعات هذه البلدان ، فطبع أدبهـــــا.

03-الماركسية : نسبة للفلسفة التي تحكم منظريها في سائل البلدان الاشتراكية ، وهي الفلسفة المرتبطة بكارل ماركس .

04- السوفياتية : من قبل إطلاق الجزء على الكل (كما أن للإتحاد السوفيتي في هذه المدرسة دوراً قياديا).

وهذا التمهيد يدفعنا إلى طرح السؤال عن ماهية الفلسفة الماركسية .

الفلسفة الماركسية نظرية في الاقتصاد السياسي وضعها كارل ماركس بمشاركة فريد يريك انجلزا في منتصف القرن 19 ، قناعتها أن الأفراد في المجتمع الإنساني يدخلون في علاقات إنتاجية وأن مجموع العلاقات الإنتاجية هذه تشكل البنية الاقتصادية لمجتمع .

من الأفكار الماركسية وجود الصراع الطبقي نظراً لانعدام العدالــة الاجتماعية ، مع السعي لانتصار الطبقة الكادحة .

ومن هذا المنطلق تبلورت نظرة المدرسة السلافية للأدب المقارن ، والتي شهدت نشاطا فعليا في الستينات ، حيث ظهر انفراج نوعي في حقل الأدب المقارن، فكانت محاولات للم شمل المقارنين الاشتراكيين في ندوة بودابيست سنة 1962، وندوة برلين سنة 1966 ، وقد كانت الدراسات التطبيقية أكثر رواجا في الإتحاد السوفياتي، في حين النشاط الروماني كان أكثر تبلوراً في الجانب النظري.

- أساس المدرسة السلافية :

خط المدرسة العام التقيد بدراسة الأسس الاجتماعية و الاقتصادية و الأسس الطبقية (تاريخ الحضارة) لتجعل من ذلك كله إطاراً للظاهــرة الأدبية التي تدرسها، ويمكن تلخيص أسسها فيما يلي :

1. إذا كانت المدرسة الفرنسية لا تهتم إلا بما ينجم عن التأثير و التأثر؛ فإن المدرسة السلافية الماركيسة ترى أن هناك قوانين تتحكم في الأدب وتاريخه ، فتطور الأدب لايتوقف على عوامل التأثير والتأثر ولا ينجم عنها بقدر ما هو ضرورة حتمية يمليها تطور المجتمع ، فما يبرزفي أحد الآداب من ظواهر أدبية هامة نتيجة لتقدم المجتمع الذي يحتضن هذا الأدب، يظهر حتما في الآداب الأخرى ، لا بفعل علاقة التأثير والتأثر فحسب؛ بل بالدرجة الأولى نتيجة لتوفـــر الشروط والمقدمات الاجتماعية في المجتمعات التي تحتضن تلك الآداب وإن يكن بفارق زمني قد يطول أو يقصر.
أي أن التأثير لا يتم إلا عندما تكون الثقافة المتأثرة بحاجة إلى المؤثرات الجانبية مستعدة لتلقيها ، مثلا : ظهور الواقعية في آداب أوروبية في أزمنة مختلفة سببه هو أن الآداب التي ظهرت فيها الواقعية كانت بلغت درجة من التطور الاجتماعي جعلت من ظهور أدب واقعي أمرا ضروريا وتكونت فيها بذور ذلك الأدب الواقعي ثم جاء عامل التأثير والتأثر أي الاستيراد الثقافي ليسرع ذالك التطور.
2. الفلسفة الماركسية ترد المتشابهات الملاحظة بين الآداب القومية المختلفة إلى المشابهات القائمة بين البنى التحتية المنتجة لهذه المدرسة تنطوي على التشابه في ما بينها في البنى الاقتصادية لابد أن يؤدي في عرف أتباع هذه المدرسة إلى تشابه في مكونات البنى الفوقية والتي يعدُّ الأدب من أهمها ، و بالتالي فإن أي تشابه يلحظة الدارس المقارن بين عملين أدبيين تنتميان إلى أدبين من قوميتين مختلفتين يمكن ردُّه إلى التشابه الموجود بين البنيتين التحيتين لكلا المجتمعين مصدر إنتاج هذين العملين .

وبعبارة أخرى إن التأثير الخارجي الذي ينسب إليه أنصار المدرسة الفرنسية عادة الدور الأكبر في المشابهات بين الآداب القومية المختلفة ، لم تعد له تلك الأهمية بالنسبة لأنصار المدرسة السلافية ، بل إن هذا الدور غدا محكوما في نظرهم لتطور المجتمع المنتج للأدب ،ويلخص فيكتور مكسيموفيتش جيرمنسكي أبرز منظري المدرسة السلافية وجهة نظر علم الأدب المقارن الماركيسي في المسألة التأثير من خلال النقاط التالية :

يمكن أن يكون التشابه بين الظواهر الأدبية ، ولاسيما التشابهات ذات الطابع العام كالتشابه بين الاتجاهات أو الأنواع الأدبية أو المبادئ الجمالية التي تظهر في أدب مختلفة في وقت واحـــــد .قائمة على مقدمات اجتماعية تاريخية واحدة . وفي مرحلة واحدة من مراحل التطور أو على التشابه في الواقع الاجتماعي ..أي أن تأثير هو خاضع للقوانين ومشروط اجتماعيا .

مثلا : إذا كان الاستيراد الثقافي في انجلترا قد ساعد على تشكيل نوع أدبي جديد في فرنسا هو دراما البورجوازية الصغيرة أو الرواية العائلية في القرن الثامن عشر، فإن التوجهات نحو تشكيل هذا النوع يفترض أن تكون متوفرة في الأدب الفرنسي نفسه على قاعدة التطور الاجتماعي للبرجوازية الفرنسية وسعيها إلى تقرير مصيرها الأيديولوجي بذاتها.

- إن أي تأثير أدبي مرتبط بتحويل اجتماعي للأنموذج المؤثر أي مرتبط بتكييف الأثر مع خصوصيات التطور الاجتماعي والاحتياجات المحلية التي يقتضيها واقع الطبقة الاجتماعية المتأثرة ـ

- مفهوم الأدب المقارن في المدرسة السلافية :

يصف جيرمونسكي هذا العلم قائلا : << علم الأدب المقارن هو علم يدرس الآداب القومية في إطار الأدب العالمي الذي يوحد الشرق والغرب ، وهو ينطلق من وحدة السياق التاريخي لتطور آداب الشعوب، من حقيقة التفاعل الثقافي المستمر بين هذه الشعوب ، في مسيرة العلمية المتقدم والتطور التاريخيين فيما يخص القضايا الثقافية لاسيما الأدبية منها.

ـ أهمية المدرسة السلافية :

من أبرز إسهامات هذه المدرسة :

1. الخروج عن الفلسفة الوضعية التي حكمت الطريقة الفرنسية في الدرس المقارن وحولته إلى بحث تاريخي يقوم على العلاقة السببية والصلات التاريخية، واعتماد النظر إلى مختلف الآداب القومية ضمن سياق أوسع من آداب العالم شرقه أو غربه شماله أو جنوبه.
2. توسيع نطاق المقارنة لتشتمل آداب مختلف الشعوب دون الاقتصار على آداب شعوب معينة كما فعلت المدرسة الفرنسية التي قصرة المقارنة على محور أفقي أي بين الأنداد (الأوربيون) .
3. الاهتمام بموضوعات وآداب طالما استبعدت عن دائرة العمل المقارني مثل الآداب الشفوية، والشعر الغنائي، و المقامة.
4. تعديل الإسراف الأوروبي والأمريكي في التمركز حول الذات الغربية.

وتبقى فكرتها العامة أن أي تأثير هو أمر ممكن تاريخيا، لكنه مشروط اجتماعيا، فلكي يصبح التأثير ممكنا يجب أن تكون ظروف البلد المتأثر أو المستقبل مهيأة ومتشابهة في الأفكار والأخلاق والموضوعات للاتجاهات المؤثرة.

* أبراز أعلامها : فيكتور جير مونسكي ــ ألكسندر ديما ـــ كيوركي ديسوف.

المحاضرة رقم08: الأدب المقارن عند العرب (المدرسة العربية)

1-إرهاصات المقارنة في الأدب العربي:

بالنظر إلى اعتداد العرب القدامى باللغة والشعر؛ كان نشاطهم في حقل التبادل الأدبي قليلا ، ورغم هذا فقد عرف العرب ألوانا من المقارنة ، تمثلت خاصة في ما قام به ابن سنان وابن الأثير ومقارنة الحرف العربي .

ومع عصر النهضة ظهرت بعض الإسهامات لروَّادٍ أبرزهم " نجيب حدّاد وسليمات البستاني "؛ فالبستاني قام بعمل ضخم تمثل في تعريف الإلياذة ، وكان هذا العمل في مدة ثمان سنوات (1887-1895) ، إلى جانب مقدمة مقارنية استغرقت أيضا ثمان سنوات وما يؤكـــــد سمة المقارنة في هذا العمل للبستاني إجراء مقارنات بين الملحمة اليونانية والشعر القصصي العربي ، للوصول على أحكام تتعلق بالشعر الجاهلي والشعر اليوناني القديم ، وحكم لصالح الشعر الجاهلي .

ويمكن إعتبار كتاب << تاريخ علم الأدب عند الافزيح والعرب >> لروحي الخالدي ، الكتاب العربي الأول الذي كرس للأدب المقارن التطبيقي إذ نشر هذا الكتاب على شكل مقالات متسلسلة في مجلة الهلال بين سنتي (1902–1903) ليطبع بعد ذلك عدة مرات.

ولهذا الكتاب أهمية كبيرة باعتباره مؤلفا نوعيا في الأدب المقارن لا تنقصه إلا التسمية المقارنية، وما يؤكد هذا الفقرة المقارنية التي تتصدره على الغلاف وجاء فيها: << وهو يشتمل على مقدمات تاريخية و اجتماعية في علم الأدب عند الافرنج وما يقابله من ذلك عند العرب ... وما اقتبسه الافرنج عنهم من الأدب والشعر...>>، و كتب أيضا مقدمة للكتاب باللغة الفرنسية عبرت عن حسِّه المقارني.

كما نجد من أقدم الدراسات التطبيقية التي جرت فيها المقابلة بين الأدبين العربي والانجليزي، وكانت على شكل مقالات لفخري أبو السعود نشرت في مجلة الرسالة سنتي (1935 -1937).

هذا إلى جانب عديد الإسهامات التي سبقت ظهور المصطلح في الوطن العربي من أبرزهـــــــــا :

- نشر مقالات في مجلة الرسالة حول العلاقة بين الأدبين العربي و الفارسي وهذا في الثلاثينات.

- كما ظهر كتاب بعنوان << روابط الفكر بين العرب والفرنجة >> و هذا في الأربعينات.

2- الظهور الفعلي للمصطلح في الوطن العربي :

في سنة 1936 ، كان أول ظهور لمصطلح " الأدب المقارن " وهذا في مجلة الرسالة على يد الكاتب" خليل الهنداوي" من خلال مجموعة مقالات تضمنت المقالة الأولى مقدمة نظرية عن الأدب المقارن ومنهجه ومزاياه ، ليظهر بعد ذلك في مؤلفات عديدة ويدخل مجال التدريس ، لتشكل بذلك مراحل الأدب المقارن في الوطن العربي.

3- مراحل الدرس المقارن العربي :

حسب " سعيد علوش " في كتابه "مدارس الأدب المقارن" يقف عند مراحل ثلاث للأدب المقارن عند العرب ، هي " مرحلة التأسيس "" مرحلة الترويج " و" مرحلة عقد الرشد " ؛ إذ تميزت كل مرحلة بجملة من المؤلفات أسهمت في توسيع نطاق الأدب المقارن عند العرب .

أ- مرحلة التأسيس (1948 -1960) :
تتميز بغزارة في عدد المؤلفات الهامة ، ومن أبرز روّاد هذه المرحلة :
* نجيب العقيقـــــــــي : "من الأدب المقارن "سنة 1948
* عبد الرزاق حميدة : " في الأدب المقارن " سنة 1948
* إبراهـــــيم سلامـــــة: " دراسات في الأدب المقارن "1951
* محمد غنيمي هلال : " الأدب المقارن " 1953
* محمد البحـــــــــيري : " الأدب المقارن 1953
* صفـــــاء خلوصـــــي : له دراسات في الأدب المقارن وقد اهتم بالترجمة التي تقدم للدارس العربي معرفة بالآداب الأجنبية ويُعدُّ من المقارنين المهتمين بالطرح الأمريكي ، فيما بقى المؤلفون المذكرون سابقا مخلصين للمدرسة الفرنسية.
وفي هذه المرحلة أعطيت الأهمية لمحمد غنيمي هلال وقد عُدَّ ظهور كتابه " الأدب المقارن " أهم تطور تأليفي في المجال ، وقد كانت أول محاولة عربية ذات وزن أكاديمي في منهجية الأدب المقارن ، ويُعَدُّ من المتمسكين بمبادئ المدرسة الفرنسية.
وقد طُبع كتابه عدة طبعَـــات، ليخرج جيلا من المقارنين والمهتمين بالأدب المقارن .

ب- مرحلة الترويج (1960 – 1970) : تميزت بأربع إسهامات :

1- مجلة الدراسات الأدبية بإشراف محمد محمدي باللغتين العربية والفارسية ، وقد ظهرت في لبنان في 1966 -1967 ، و قد تبنت نهج المدرسة الفرنسية في إخضاع المقارنة للعلاقة السببية.

2- مجلة الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن تحت إشراف جمال بن الشيخ والصادرة بين 1967 – 1968 ، كانت تطبيقية فـي الأغلب واهتمت بقضايا تراثية .

3- محمد عبد المنعم خفاجة : كان له دراسات في الأدب المقارن سنة 1966، أعطى اهتماما لأهمية الأدب المقارن في دعم الأدب الوطني .

4- حسن جد حسن : كان شديد التأثر بمحمد غنيمي هلال وكان له كتاب الأدب المقارن سنة 1967

ج- مرحلة عقد الرشد : (1970 – 1986)

تميزت بنزعتين :

1- الأبحاث العربية الإيرانية :عالجت قضايا تراثية بين الأدبين العربي الفارسي مثل : قصة المعراج والمقامة ، و نشط أعمالها كل من محمد عبد السلام كفافي ـــ طه ندا و بديع محمد جمعة (1971 -1978-1975).

2- الأبحاث العربية الغربية التي شهدت أبحاث كل من :

* ريمون طحمان " الأدب المقارن والأدب العام " (1972) .

*إبراهيم عبد الرحمان محمد " الأدب المقارن النظرية و التطبيق " (1982.

* عبد الدّايم الشّوى : دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والغربي، كما شهدت هذه المرحلة ثراءً كبيراً في مجال الإبداع المقارني مما لايتسع المجال لحصره، كما وصل الأدب المقارن إلى الجامعات العربية.

4- الأدب المقارن في الجامعات والمنابر العلمية العربية :

- سنة 1938 أول ظهور لمقرر الأدب المقارن في أدبيات دار العلوم بالقاهرة، ليختفي ويظهر أواخر الأربعينيات في سلسلة من المؤلفات سبق ذكـرها في مراحل الدرس المقارن العربي بعد الخمسينات اتسع الاهتمام بتدريس الأدب المقارن في الجامعات العربية خاصة مع ظهور كتاب محمد غنيمي هلال.
- 1960 ظهور جمعية جزائرية في الأدب المقارن.
- 1962 الأدب المقارن يدرس في الجامعة الأمريكية بيروت .
- 1963 يدرس في الرباط في المغرب
- 1968 تدريس الأدب المقارن في الجامعة الجزائرية باللغة العربية ؛ بعد أن كانت مادة مفرنسة نظرا للواقع الاستعمار.
- 1972 تدريس التخصص في تونس.
- سنة 1976 دخول الأدب المقارن في الجامعة الرسمية بسوريا .
- 1981 انعقاد مؤتمر الأدب المقارن في جامعة المنيا بمصر.
- 1983 إنشاء الرابطة العربية للأدب المقارن التي عقدت الملتقى التحضيري في جامعة عنابة .

- 1984 انعقاد الملتقى الأول للرابطة دائما بعنابة .
- 1986 انعقاد المؤتمر الثاني بجامعة دمشق سوريا .
- 1989 انعقاد المؤتمر الثالث بمراكش بالمغرب ، وهو مؤتمر الرابطة العربية للأدب المقارن.

المحاضرة رقم 09: المصادر المشتركة للآداب العالمية ومظاهر التأثير والتأثر بين الحضارة العربية الإسلامية والآداب الأجنبية

1- المصادر المشتركة للآداب العالمية:

أقدم ظاهرة في تأثير أدب في أدب آخر ، وأعظمها نتائج في القديم ، ما أثر به الأدب اليوناني في الأدب الروماني.

وفي عصر النهضة (القرن الخامس عشر والسادس عشر) اتجهت الآداب الأوروبية وجهة الآداب القديمة من يونانية ولاتينية، وكان للعرب فضل توجيه الأنظار إلى قيمة النصوص اليونانية، بما قدمه من ترجمات الفلاسفة اليونان وخاصة ((أرسطو))، وعن مسيرة التفاعل الفكري والأدبي بين المجتمعات الإنسانية؛ يمكن الإشارة إلى أن الدرس المقارن يقوم على مراقبة الحضارات وآدابها، ورصد أثر هذه الآداب بعضها في بعض.

ويمكن وضع تخطيط عام لظهور الآداب في الحضارات، وإلى ما يمكن أن يقوم من دراسات حولها؛ فإن أقدم الآداب في العالم ظهرت في الشرق الأوسط، فقد ظهر الأدب العراقي القديم، ثم المصري، والسوري، والهندي، والصيني، والعبري، واليوناني، والروماني، والعربي، والأوروبي.

وبعض الدراسات المقارنة يمكن أن تقوم على أساس التأثيرات التالية:

- أثر أدب وادي الرافدين القديم ومصر وسوريا في الآداب الهندية والعبرية واليونانية والرومانية.

- أثر الآداب اليونانية في الآداب الرومانية والعربية.

- أثر الآداب اليونانية والرومانية في الآداب الأوروبية.

- أثر الأدب العربي واللغة العربية في الآداب العبرية والفارسية والهندية والأوروبية.

- أثر الآداب الأوروبية المعاصرة في الأدب العربي.

2- انفتاح العرب على الآخر عبر العصور:

هي مؤثرات فارسية ويونانية وأوروبية –على الخصوص- وعن التأثير الفارسي؛ فقد كان الفتح الإسلامي لبلاد فارس إيذانا بميلاد حركة من التمازج الثقافي والحضاري والسياسي بين العرب والفرس، وصار من الطبيعي أن تتغير سياسة الدولة الإسلامية، تبعا لما لحق بالمجتمع من تحول طبقي، لكن اللافت للنظر أن هذا التغير لم يحدث فجأة؛ بل راح ينمو شيئا فشيئاً ليبلغ ذروته في عهد خلفاء بني العباس، أما العهد الأموي فلم يكن للنفوذ الفارسي فيه قوة تذكر اللهم إلا النزر اليسير.

كما كان للعرب اتصال بالحضارات الإنسانية القديمة، وأبرزها علاقتهم بالثقافة اليونانية؛ إذ لم يكن العرب مند العصر الجاهلي منعزلين عن الثقافات المجاورة؛ بل احتكوا بها، ونشأ عن هذا الاحتكاك نوع من التمازج الثقافي أثر تأثيراَ بالغا في الأدب العربي بوجه عام وفي النثر بوجه خاص.

قد كان للثقافة اليونانية منافذ عديدة إلى الأدب العربي، أهمها الدور الكبير لنصارى السريان في نقل الثقافة اليونانية إلى العرب بعد أن أخذوا هذه الثقافة من الإسكندرية وأنطاكية"، كما كان للترجمة والتجارة الدور البارز في تبادل المؤثرات من ذلك :

- التأثير اليوناني في النقد العربي القديم.

- أثر الأوديسا في رحلات السندباد.

- أوديب بين سوفوكليس وتوفيق الحكيم.

- أثر الأنواع الأدبية في أوروبا في الأدب العربي الحديث.

- كليوباترا بين شكسبير وأحمد شوقي.

ونشير إلى أن العربي كان يحمل الرغبة الملحة في الاطلاع على كل ما هو جديد، وكانت له قابلية لتلقي العلم؛ فتمكن من الاقتباس من الثقافات القديمة ليغدو الوريث الفكري الوحيد للأمم التي غلبها أو احتك بها، فكان الاستلاء على أقدم مراكز الحضارة في العالم التي تعود تقاليدها إلى عصور اليونان والرومان والفرس والفراعنة والآشوريين والبابليين ، من ذلك ما نقله عبر الترجمة من كتب في الفلسفة الأرسطية والأفلاطونية، إلى جانب كتب أدبية وعلمية نقلها بدوره إلى العالم الغربي.

3- الحضارة العربية والإسلامية وأثرها فى الآداب الأوروبية:

لا يستطيع منصف أن ينكر تأثير الأدب العربي في الآداب الأوروبية في العصور الوسطى وقد حدث هذا التأثير عبر عدة طرق ومنافذ، منها الفتوحات العربية، والتجارة التي ولدت الاحتكاك بين العرب والأمم الأخرى، وانتقلت المؤثرات العربية إلى أوروبا عبر منفذين أساسيين هما الأندلس وصقيلة؛ فالأندلس ناقل أساسي للثقافة بين العرب والغرب، وقد فتح العرب الأندلس وشيدوا فيها حضارة عظيمة استمرت نحو تسعة قرون، وقد تحدث كثير من علماء أوروبا المنصفين عن أثر العرب في أوروبا في العصور الوسطى ، فقال جوستاف لوبون : (إذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر من الميلاد ، حين كانت الحضارة الإسلامية في أسبانيا ساطعة جدا، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجا يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون .. ودامت همجية أوروبا البالغة زمنا طويلا من غير أن تشعر بها، ولم يبدأ في أوروبا بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر من الميلاد ، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكتاف الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم).

ويمكن تلخيص أبرز صور تأثير الحضارة العربية الإسلامية في مختلف الآداب الأجنبية في المظاهر الآتية :

- أثر المفرد العربي في اللغات المختلفة كالفارسية والتركية والكردية والإسبانية والبرتغالية وهذا للحاجة الدينية والاقتصادية والعلمية والأدبية.

- أثر الأدب العراقي القديم في نشأة خرافات الحيوان.

- المقامة العربية وأثرها في الأدب الغربي.

- أثر الشعر العربي في شعراء التروبادور.

- كليلة ودمنة بين الأدبين العربي والغربي.

- ألف ليلة وليلة وأثرها في الأدب الغربي.

- مجنون ليلى في الأدبين العربي والفارسي.

- أثر قصة حي ابن يقضان لابن طفيل في روبنسون كروزو لدنيال ديفو.

- أثر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري في الكوميديا الإلهية لدانتي.

- الفكر الأسطوري في الأدب العربي القديم والفكر الإنساني: ترك العرب القدامى وراءهم تراثا قصصيا زاخرا، ضم العديد من القصص البطولية الشعبية والأساطير بما في ذلك قصص الحيوان التي انتقلت إلى مختلف الآداب العالمية، وقد وقف الباحثون على مظاهر الشبه بين هذه الآداب من ذلك ما ظهر من شبه بين القصص العراقية الشعبية القديمة والقصص الشعبية الأوروبية.

ورغم التباين بين الشعوب في لغاتها وحضاراتها يظل الاتصال قائما؛ لما يتميز به الإبداع بكل أصنافه من بعد إنساني.

نماذج تطبيقية :

المحاضرة رقم10: أثر كتاب "ألف ليلة وليلة" في الأدب الأوروبي:

أحدث كتاب "ألف ليلة وليلة" هزة في الفكر الأوروبي عند ترجمته في العصر الحديث إلى الفرنسية.

وللعلم وإن كان هذا العمل مجهول المؤلف؛ فإن الأرجح أنه من أصل عربي، قد يكون من بلاد الرافدين، أو من الأدبين السوري أو المصري القديم، كما امتزج بقصص فارسية وهندية، لتظل السمة الشرقية هي الغالبة؛ فكان بحق صورة للحياة العربية الإسلامية في مراحل معينة وقد أضيفت حكايات وأساطير على مدى تعاقب العصور. ، ظلت حقبة طويلة من الزمن- قبل أن تدون– تنتقل من جيل لآخر، عن طريق الرواية الشفوية.

هو كتاب أدبي شعبي يتضمن حكايات خرافية وشعبية وقصص على لسان الحيوان (fables) وحكايات عن أسفار البحار والمغامرات ، والبطولة والأساطير ونوادر، وأخبار.....

* هي دائرة معارف شعبية.

* مصدر تاريخي قيم.

* وثيقة ضرورية لدراسة المجتمع الإسلامي القديم : تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته وتراءت من خلاله ميوله ونزعاته وتكلمت فيه أساليبه ولهجاته ـ

التسمية: وردت آراء عديدة؛ ويمكننا ترجيح رأي أحمد حسن الزيات الذي يرى أن ليلة زيدت فوق الألف لإفادة الإكمال؛ لأن الألف عدد تام فإذا زيد عليه الواحد كان كاملا والكمال درجة فوق التمام.

إذن لليالي روافد، وجذور متعددة (هندية، فارسية، يونانية، فرعونية، بابلية..)؛ لأن ظاهرة التأثير والتأثر ظاهرة طبيعية بين الأمم، وقد اتصل العرب بجيرانهم قبل ظهور الإسلام بقرون عدة.

ـ ليست الليالي ابتكار فرد؛ إنما هي مجموعة قصصية شعبية تناقلتها الأجيال قرونا عدة في بغداد والشام والقاهرة؛ فلحقها تغيير وتبديل بالحذف، والإضافات والصقل والتهذيب.

ـ القاص الشعبي العربي يتفنن في إخراج حكاياته يشيع قصصه بروحه فجاءتها ليالية مليئة بالصور العربية العريقة السامية ،المصرية والمغربية حاملة الطابع الأصيل للحضارة الإسلامية .

ـ أول من ترجم الليالي المستشرق الفرنسي " أنطوان جالان " سنة 1704، وكانت ترجمة راجت في كل أنحاء فرنسا .

ـ ترجمة الليالي إلى اللغات الأوربية تعد فعلا حدثا مهما وخطيرا في العلاقات الشرقية ، الغربية ، وفي تاريخ الأدب العالمي .

ـ ألف ليلة وليلة كانت حافزا لعناية الغرب بالشرق؛ إذ نشطت حركة الاستشراق.

ـ حكايات شهرزاد ألهبت خيال القراء الفرنسيين في 18(قرن الرواية)

تقليد ألف ليلة وليلة :

ـ ألف يوم ويوم.

ـ ألف ربع ساعة و ربع ساعة .

ـ ألف فضل وفضل .

- ألف أمسية وأمسية.

يظهر أثر هذا الكتاب وأهميته بمقدار ما بعث في كتاب القصة من حماسة لتقليده.

ومن القصص المتأثرة بألف ليلة وليلة "الرسائل الشرقية للسيد رابى وقد كتبها جيمس نوبل، وقصص خرافية شرقية تدور أحداثها في الشرق العربي، ومنها مغامرات هارون الرشيد للكاتبة ماري بادل، وقد طبعت في لندن عام 1855.

ومن الكتب المتأثرة بها: كتاب ألف ليلة وليلة الحديثة كتبه آرثر باكيت وطبع في لندن عام 1877م، وكذلك الليالي العربية الجديدة الذي طبع عام 1882 .... وغيرها كثير.

وقد ترجم الكتاب إلى كافة اللغات الأوربية المعاصرة؛ ليشيع في الغرب ضرب من الأدب ذو الروح الشرقي، اتخذ أشكالا مختلفة كالحكايات والأقاصيص، والرسائل الأدبية.

وأخيرا في الغالب لا نجد كاتبا في القرن التاسع عشر لم يظهر عليه أنه قد قرأ وأحب ألف ليلة وليلة.

ملاحظة:

ألف ليلة وليلة منطلقها ما دار حول الملك شهريار الذي اكتشف خيانة زوجته فقتلها، ثم تزوج بأخرى وقتلها واستمر في القتل بعد كل زواج؛ إلى أن أتى الدور على ابنة الوزير شهرزاد التي كانت ذكية؛ فشرعت في سرد قصص بلا نهاية بغية الإبقاء على حياتها، واستمرت في ذلك إلى الليلة الألف، وهي مدة كافية للتراجع عن القتل.

أما عن الحكايات المروية؛ فكانت تعبر عن قيم روحية، وتتناول قضايا يتواجه فيها الخير والشر، من خلال قصص معروفة مثل: (علاء الدين والمصباح السحري، رحلات السندباد البحري، و علي بابا والأربعون لصا)..... وغيرها كثير.

المحاضرة رقم11: حي بن يقظان لابن طفيل وروبنسون كروزو لدنيال ديفو – دراسة مقارنة-

1- قصة حي بن يقظان :

ابن طفيل مؤلف قصة حي بن يقظان ولد في 1110 شمال شرق قرطبة (في القرن 12م).

- حي بن يقظان : النفس المتيقظة .

الحي القيوم > الحي هو العقل من اليقظان (الله تعالى) .

ملخص :

نمو طفل بجزيرة : هو ابن أخت الملك للجزيرة المجاورة من زواج رغما عن الملك فوضعته في تابوت، وربتة ظبية .

- بالجزيرة قدم رجل ليعبد الله وحده أين تعرف على حي بن يقظان وأخذه إلى الجزيرة التي قدم منها ليدعوهم للإيمان بالله، ثم رجعا إلى الجزيرة ليتعبدا .

حينما ماتت الظبية : شَرَّحَها للبحث عن سبب الموت.

* القضايا الأساسية في القصة:

01 – اتفاق العقل والدين حي يمثل العقل الحر الذي يصل إلى الحقيقة وهي معرفة الخالق، ليرد عن الجمهور الذين يسلكون طريق الظاهر في معرفة الأشياء.

02- قضية المعرفة الإنسانية : تدرج حي في المعرفة من حسية إلى عقلية ثم إلى معرفة ذوقية صوفية.

المعرفة الذوقية أو الروحية :

اكتشف الحياة شيئا فشيئا إلى أن اهتدى إلى وجود الله تعالى، بدأ يتطلع إلى الله تعالى والبحث عنه. (ثم يأتيه أبسال بعد أن يوصل المعرفة للجمهور الذين كان لهم إيمان ظاهري)

وجد حي ذو معرفة باطنية تعرف إليها بالعقل.

* الخلق ، الولادة : آدم عليه السلام .

* التابوت في اليم : موسى .

* الظبية : يونس حينما رماه الحوت إلى الشاطئ

*دفن الظبية: أي الغراب قصة قابيل و هابيل .

* معرفة الله تعالى من خلال رؤية القمر ، الشمس والنجوم: إبراهيم عليه السلام.

إشارة إلى احتياج الإنسان إلى نبي.

*قصة حي إشارة إلى الانتصار إلى العقل واتفاقه مع الدين .

2- قصة روبنسون كروزر :

- دانيال ديفو: تاجر إنجليزي، وكاتب وصحفي ولد سنة 1660 (عاش في القرن17م)

(دانيال ديفو) كان له دور في الأدب الإنجليزي : كان تاجرا – صانعا – فيلسوفا – صحفيا بارعا، قصاصا.

ملخص :

روبنسوف كروزو في رحلة على سفينة تحطمت بعض أجزائها، استقلوا زورقا حطم أيضا عدى روبنسون كروزو ، رمي على الشاطئ وعاش وحيدا في جزيرة .

صنع بيتا وقاربا؛ رجع إلى السفينة المحطمة ليأتي بأطعمة وأسلحة، ثم زرع وأكل.

* أوجه الشبه : الأدب الطوباوي الفكري : المثالي ،المدينة الفاضلة .

- العزلة : الجزيرة ، وحدة مكانية مستقلة

- العقاب على خطيئة: حي : أبواه ارتكبا الخطيئة بالزواج سرا .

وكروزو : أخطأ في حق والديه : العقاب تصحيح مسار الحياة .

- الصدمة التي غيرت مسار البطلين .

- الأفعال المتشابهة : اكتشاف الجزيرة بناء السكن

- اكتشاف المعارف (تشابه في شكل واختلاف في الجوهر اختلاف في القيمة).

* أوجه الاختلاف :

حي بن يقظان	روبنسون كروزو

– طفل رضيع	- كبير في سن الرشد
- اعتمد على نفسه في كل شيء	- كانت له وسائل ومعلومات
- غير مخير	- مخير
- عمق	- سطحية
- روحي	- مادي

مظاهر التأثير والتأثر:

يرى الباحثون أن الأدب العربي هنا هو المرسل ، والأدب الإنجليزي هو الآخذ المتأثر.

- أول تعليل يمكن عرضه أن ابن طفيل عاش في القرن 12 في حين دانيال ديفو عاش في القرن 17. أي سبقه بخمسة قرون.

- ثم أن قصة حي بن يقظان دخلت إلى الفكر الأوروبي مبكرا؛ فقد ترجمت إلى الإنجليزية سنة 1674 من قبل جورج كيت، لتتوالى الترجمات، وطبيعي أن يطلع ديفو على الترجمات التي كانت ثلاثة منها إلى اللغة الإنجليزية.